تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها
ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي
وارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة
في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك اليوم الذي لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا واسند عن ابي ذر قال كنت ردف
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في
عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها
حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقال لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن ←
آمنت من قبل الآية واسند عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات
فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان يأتيكم العذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب ← توبوا الى الله
فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة ان تطول قدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له
ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل
مكانه فاذا راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم رأوا اعينهم
طلوع الشمس فبينما هم ينتظرون ان تطلع عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع اهل الايمان عند
الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة
والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها
من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل ان ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة او يأجوج ومأجوج او طلوع الشمس
من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث
الدابة او طلوع الشمس من مغربها او يأجوج ومأجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرجت اول الآيات طرحت
التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او يأتي بعض
آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما
تظاهرت عليه الاخبار الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان طلوع الشمس من
مغربها وقوله تعالى **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل**
يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبته فاما عند ظهور الآية العظيمة التي تضطرهم
الى الايمان والتوبة **او كسبت في ايمانها خيرا** يعني او عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من
عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادرك بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه
العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من شرك او تاب من معصية عند ظهور
هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة الاضطرار كما لو ارسل الله عذابا على امة فآمنوا وصدقوا
فانهم لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله تعالى
قل انتظروا يعني ما وعدتم به من مجيء الآية وعيد وتهديد **انا منتظرون** يعني ما وعدكم
ربكم به من العذاب يوم القيامة او قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما يتنظر لمن تأخر
في الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين

انما يمهلون

انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا او ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة
اللازمة ابدا وقيل ان قوله فانتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة
بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة قوله عز وجل **ان الذين فرقوا** قرئ فارقوا **دينهم
وكانوا شيعا** يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا
مختلفين فيه ومن قرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السمحة اديانا
مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا
دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء. وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد
في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا
الكواكب فكان هذا هو تفريقهم دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي
والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الآية
هم اهل الضلالة من هذه الامة وروي ذلك موقوفا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم اهل البدع واهل الشبهات واهل الضلالة
من هذه الامة اسناده ليس بصحيح فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة
وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والاهواء من
هذه الامة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
فقال له رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع
والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة
ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية
زاد ← وانه سيخرج من امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله
اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت
على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول
الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه
الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه
التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب
قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور
محدثاتها رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى **لست منهم في شيء** يعني في
قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود
والنصارى والكفار ومن قال المراد من الآية اهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم
في شيء اي انت منهم بريء وهم منك براء تقول العرب ان فعلت كذا فلست مني ولست منك اي كل واحد
بريء من صاحبه **انما امرهم الى الله** يعني في الجزاء والمكافأة **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**
يعني اذا وردوا القيامة قوله تعالى **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** يعني عشر حسنات

(هامش: وهو ان من آمن ببعضه وكفر ببعضه وان بعضا منه فارق دينه في الحقيقة)

Copyright King Saud University